شعراء عصرٍ وتتدانى وسايل كتاب دهرٍ حتى تشتبه اشتباهًا شديدًا او
تتماثل تماثلًا قريبًا فيغمض الفضل ۞ وقد تتشاكل الفرع ولد الاصل وذلك فيما
لا يتعذر دراك امده ولا يتصعب طلاب شاوه ولا يمتنع بلوغ غايته والوصول
الى نهايته لان الذي يتفق من الفصل بين اهل الزمان اذا تفاضلوا وتفاوتوا في مضمارٍ
فصل قريبٌ وامرٌ يسير وكذلك لا يخفى عليهم معرفه سارق الالفاظ وسارق
المعاني ولا من يخترعها ولا من يلم بها ولا من يجاهر بالاخذ ممن يكاتم بدو ولا ممن
يخترع الكلام اختراعًا ويبتدهه ابتداهًا ممن يروّي فيه ويجيل الفكر في تنقيحه
ويصبر عليه حتى يتخلص له ما يريد وحتى يتكرر نظره فيه قال ابو عبيده سمعت
ابا عمرٍ ويقول زهير والحطيه واشباههما عبيد الشعر لانهم نقحوه ولم يذهبوا فيه
مذهب المطبوعين وكان زهير يسمي كبر شعره الحوليات المنقحه

وقال عدى ابن الرقاع

وقصيدهٍ قد بت اجمع بينها حتى اقوم ميلها وسنادها
نظر المثقف في كعوب قناته حتى يقيم ثقافه منادها

وكقول سويد بن كراع ابيت بابواب القوافي كانما اصادي بها سربًا

من الوحش نزعًا ومنهم من يعرف بالبديهه وحده الخاطر ونفاذ الطبع وسرعه — حد البديهه
النظم يرتجل القول ارتجالًا ويطيعه عفوًا صفوًا فلا يقعد به عن قومٍ قد تعبوا
وكدوا انفسهم وجاهدوا خواطرهم وكذلك لا يخفى عليهم الكلام العلوي و
اللفظ الملوكي كما لا يخفى عليهم الكلام العامي واللفظ السوقي ثم تراهم
ينزلون الكلام تنزيلًا ويعطونه كيف تصرف حقوقه ويعرفون مراتبه فلا يخفا
عليهم ما يختص به كل فاضلٍ تقدم في وجهٍ من الوجوه النظم من الوجه الذي لا
يشاركه فيه غيره ولا يساهمه سواه الا تراهم وصفوا زهيرًا بانه امدحهم واشدهم
اسر شعرٍ قاله ابو عبيده ۞ وروي ان الفرزدق انتحل بيتًا من شعر جرير وقال
هذا يشبه شعري فكان هاولاء لا يخفا عليهم ما قد نسبناه اليهم من المعرفه
بهذا الشان وهذا كما يعلم البزازون هذا الديباج عمل بتستر وهذا لم يعمل بتستر
وان هذا من صنعه فلانٍ دون فلانٍ ومن نسج فلانٍ دون فلانٍ حتى لا يخفى عليه
وان كان قد يخفى على غيره ثم انهم يعلمون ايضا من له سمت بنفسه ورفت براسه
ومن يقتدي في الالفاظ وفي المعاني او فيهما بغيره ويجعل سواه قدوه له ومن يلم
في الاحوال بمذهب غيره ويطوا في الاحيان وهذه امور ممهده عند العلماء و
اسباب معروفه عند الادباء وكما يقولون ان البحتري يغير على ابي تمامٍ اغارهً و

يأخذ

٢١

يأخذ منه صريحًا واشارهً ويستانس بالاخذ منه بخلاف ما يستانس بالاخذ
من غيره ويالف اتباعه كما لا يالف اتباع سواه وكما كان ابو تمام يلم بابي نواسٍ و — ومسلم صح
كما يعلم ان بعض الشعراء ياخذ من كل احدٍ ولا يتحاشى ويولف ما يقوله من فرقٍ شتى
وما الذي نفع المتنبي جحوده الاخذ وانكاره معرفه الطائيين واهل الصنعه يدلون
على كل حرفٍ اخذه منهما جهارًا او لم بها فيه سرارًا واما ما لم ياخذ عن
الغير ولكن سلك النمط وراعى النهج فهم يعرفونه و
يقولون هذا اشبه به من التمره بالتمره واقرب اليه من الماء الى الماء وليس بينهما
الا كما بين الليله والليله فاذا تباينا وذهب احدهما في غير مذهب صاحبه وسلك
في غير جانبه قيل بينهما ما بين السماء والارض وما بين النجم
والنون وما بين المشرق والمغرب وانما اطلت عليك ووضعت جميعه بين يديك
لتعلم ان اهل الصنعه يعرفون دقيق هذا الشان وجليله وغامضه وجليه وقريبه
وبعيده ومعوجه ومستقيمه فكيف يخفى عليهم الجنس الذي هو بين الناس متداول
وهو قريبٌ متناول من امرٍ يخرج عن اجناس كلامهم ويبعد عما هو في عرفهم ويفوت
مواقع قدرهم واذا اشتبه ذلك فانما يشتبه على ناقصٍ في الصنعه او قاصرٍ
عن معرفه طرق الكلام الذي يتصرفون فيه ويديرونه بينهم ولا يتجاوزونه
فلكلامهم سبلٌ مضبوطهٌ وطرق معروفهٌ محصورهٌ وهذا كما يشتبه على من
يدعي الشعر من اهل زماننا والعلم بهذا الشان فيدعي انه اشعر من البحتري و
يتوهم انه ادق مسلكًا من ابي نواسٍ واحسن طريقًا من مسلمٍ وانت تعلم انهما
متباعدان وتتحقق انهما لا يجتمعان ولعل احدهما انما يلحظ غبار صاحبه و
يطالع ضياء نجمه ويراعي حفوف جناحه وهو راكد في موضعه ولا نصير البحتري
ظنه ولا يلحقه بشاوه وهمه فان اشتبه على متادبٍ او متشاعرٍ او ناشيٍ او مرمدٍ
فصاحه القرآن وموقع بلاغته وعجيب براعته فما عليك منه انما يخبر عن نقصه
ويدل على عجزه ويبين عن جهله ويصرح بسخافه فهمه وركاكه عقله وانما قدمنا
ما قدمناه في هذا الفصل لتعرف ان ما ادعيناه من معرفه البليغ بعلو شان القرآن
وعجيب نظمه وبديع تاليفه امر لا يجوز غيره ولا يحتمل سواه ولا يشتبه على ذي
قصيرهٍ ولا يخيل عند اخي معرفهٍ كما يعرف الفصل بين طباع الشعراء من اهل الجاهليه
وبين المخضرمين وبين المحدثين ويميز بين من يجري على شاكلة طبعه وغريزه نفسه
وبين من يشتغل بالتكلف والتصنع وبين من يصير التكلف له كالمطبوع وبين من
كان مطبوعه كالمتعمل المصنوع هيهات هيهات هذا امرٌ وان دق فله قومٌ يقتلونه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1